

كَانَتْ قَرْيَةً سَيِّدِي بُو سَعِيدٍ مِصْطَافِ أَعْيَانِ مَدِينَةِ تُونِسَ مِنْذِ الْقَدِيمِ، تَتَسَلَّقُ دُورَهَا الْبَيْضَاءُ رَبْوَةً عَالِيَةً تَشْرَفُ عَلَى خَلِيجِ تُونِسَ،
يَصْعَدُ إِلَيْهَا الزَّائِرُ صُعُودًا مِنْ طَرِيقٍ ضَيْقَةٍ تَنْتَهِي بِهِ إِلَى سَاحَةِ صَغِيرَةٍ هِيَ قَلْبُ الْمَدِينَةِ، وَإِذَا تَجَاوَزْتَ السَّاحَةَ وَجُلْتَ فِي الْقَرْيَةِ
تَهْتَفُ فِي مَنْعَرَجَاتِهَا ، وَخَلَبَتْ بِصَرَكَ أَبْوَابِ دُورِهَا مَصْبُوعَةً بِاللُّونِ الْأَزْرَقِ، وَلَعَلَّ سَكُونَهَا الْعَجِيبَ يَفْتَنُكَ كَأَنَّهُ سِحْرٌ ، وَأَنْتَ تَمُرُّ
أَزْقَتِهَا تَحْتَ الْمَشْرِيبِيَّاتِ بِخَفِيفِ أَرْدِيَّةِ الْحَرِيرِ، وَتَطْرُقُ سَمْعَكَ طَرَقَ الْأَنْغَامِ ضَحَكَاتِ مَحْتَشِمَةٍ، وَقَدْ تَتَرَاءَى لَكَ مِنْ حِينَ لِأَخْرَعَيْنُ
حَسَنَاءِ تُرَاقِبُ مَشْيَتَكَ وَحَرَكَاتِهَا مِنْ وَرَاءِ الشَّبَابِيكِ، وَتَشَاهِدُ أَحْيَانًا شَجَرَةً سَرَوُ تُنْطَلِقُ عَالِيَةً مُسْتَقِيمَةً مِنْ فَنَاءِ بَيْتِ مُسَلْطَةَ عَلَى
الْفَضَاءِ حَضَرَتْهَا الْمَدْلَهْمَةُ تَوَاصَلَ سِيرَكَ فَتَقْوَدُكَ خُطَاكَ إِلَى نَاحِيَةِ الْبَحْرِ،